المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

و الصلاة و السلام على أشرف الخلق محمد وعلى الهِ المعصومين الطاهرين .

القرآن الكريم نصاً ذو تأثير كبير في الحياة ، ومنذ نزوله حتى الآن وذلك ليس لانه كتاب سماوي مقدس فقط ، وانما لانه فعال ومؤثر في كل جانب من جوانب الحية واصبح مرجعية لكثير من العقول التي تأثرت به ومن أهم المتأثرين به الامام علي عليه السلام الذي يعد مجموع خطبة وكتبه ورسائله (نهج البلاغة) اهم كتاب بعد القرآن و السنه النبوية ، لذا أرتى القائمون في قسم علوم القرآن في جامعه القادسية ان يجعلوا بحوث الدفعه الثانية من القسم تختصص بنهج البلاغة ، ولذلك طرحوا مجموعة من المواضيع التي تتعلق بالقرآن والنهج في ان واحد ، ولما كان المجتمع في الوقت الحاضر يعاني من الشدة والقسوة وسوء التعامل و لما بات استخدام الرفق قليل في الوقت الحاضر ، بالإضافة الى قلة التطرق الى هذا الموضوع الذي يشكل بالنسبة ل ي قيمة كبيرة كون المجتمع يحتاج الى العودة الى مثل هذه المواضيع لكي تشعر ولو بج زء بسيط من الاطمئنانية ، ونجد ان الامام علي عليه السلام حاول في أقوله وخطبته ان يتكلم عن الرفق وأن ويضح اهميه في بناء المجتمع وتكوين العلاقات .

وقد قامت منهجية البحث على أساس يكاد يكون تقليدي الى حد ما فقد ابتداء ببيان معنى الرفق لغة واصطلاحاً وببيان المعنى التي وردت بها هذه الكلمة سواء كانت أصلية ام مشتقة في الفصل الاول من البحث وقد اعتمدت على مجموعة من المعاجم اللغوية والاصطلاحية فمثلاً في اللغة رجعت الى لسان العرب لأب ن منظور والى غيرة من المعاجم ولكن ما واجهته من الصعوبات كان في بيان المعنى الاصطلاحي لا ن كلمة الرفق وجودها نادر

في المعاجم الاصطلاحية وهذا لان هذه الكلمة يرى المؤلفون انها ذات معنى واضح ولا يحتاج الى بيان ، ثم بعد بيان اللغة و الاصطلاح ، باشرت بأحصاء كلمة الرفق واشتقاقاتها في القرآن وبيان تفسيرها عند السنة و الشيعه وببيان تفاسير مواصفاتها جميعاً ينتهي الفصل الثاني ، ثم في الفصل الثالث باشرت باحصاء الكلمة- الرفق ومشتقاتها – في النهج وبيان مواردها وشرحها عند السنه و الشيعه ايضاً ، ثم بعد ذلك تناول الفصل الرابع من البحث الاثر القرآني في نهج البلاغة ، اما في سبب اختيار تسمية هذا الفصل فلأن البحث اصلاً يرتكز على النهج وكيف استقى الامام كلماته من آيات القرآن الكريم ، فهو قائم – الفصل الرابع – على ذكر الخطبة التي تحوي معنى الرفق ثم ذكر ما يقاربها من آي القرآن الكريم ، وبعد ذلك نلاحظ التطابق بين النصين ثم توضح مواطن إضافة الإمام عليه السلام في خطبته على الأيه .

ولم انظر في البحث الى مسألة الشيعةو ألسنه ، لأن نهج البلاغة معترف به عند الفريقين ولربما لاحظ ان خير من شرح النهج .

النهج هو أبن أبي الحديد وهو من علماء السنه وهذا الرأي شخصي ومحايد الى حد ما .

وأخيرا نرجوا من الله ان يتقبل منا هذا الجهد اليسير منه مولانا ونعم النصير . و الحمد لله الذي هدانا لهذا . وأقول قولي هذا واستغفر الله ربي لي ولكم ..

الفصل الاول

- المبحث الأول – مفهوم الترّفْق لغةً

- المبحث الثاني – مفهوم الترّفْق اصطلاحاً

المبحث الأول :-

الرِّفْقُ لغةٍ :-

ان استقصاء المعاجم اللغوية و البحث فيما ينتهي بنا الى وجود معاني كثيرة مختلفة لكلمة (الرَّفْقُ) ، ومنها ما أتفق علية أغلب المعجميين ومنها ما هو غير ذلك مما تفرد بهِ معجمي واحد .

وهنا سأورد المعاني المتفق عليها واتبعها بذكر المعاني الغير متفق عليها :-

- المعاني المتفق عليها :-

١ -الرَّفْقّ :- ضد العنف و الخرق [١] .

٢ -الرَّفْقُ : لين الجانب ولطافة الفعل ، واذا امرت قلت رفقاً [٢] .

٣ -الرَّفَقِ : انفتال المرفق عن الجنب [٣] .

٤ -المِرْفَقُ : موصل الذراع بالعضد ، و الارتفاق التوكؤ على المرفق ، ويقال مرتفق : اي متكأ على مرفق يده ، و الجمع مرافق ومنه قوله تعالى : ﴿ وأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [٤] ، ومرتفق اذا اخذ مرفقه [٥] .

---

١ - ينظر : جمهرة اللغة ، ابن دريد ، ج٢ / ص ١٠٩ ، لسان العرب ، ابن منظور ، المجلد الخامس ، مادة رفق ، المصباح المنير ، الفيومي ، ج٣/ص٣١٨ ، تاج العروس ، الزبيدي ، ج ٢٥ / ص ٣٤٦-٣٤٩ .

٢ - ينظر : العين ، الفراهيدي ، ج١ / ٦٩٩ ، جمهرة اللغة ، ج٢ / ص١٠٩ ، لسان العرب ، المجلد الخامس ، مادة الرفق ، المصباح المنير ، ج٣/ص٣١٨ ، تاج العروس ، ج ٢٥ / ص ٣٤٦-٣٥١ .

٣ - ينظر : العين ، ج١ / ص٦٩٩ ، تاج العروس ، ج ٢٥ / ص٣٤٩ .
٤ - المائدة : (٦) .
٥ - ينظر : العين ، ج ١ / ص ٦١٩ ، جمهرة اللغة ، ج٢ / ص١٠٩ ، لسان العرب ، المجلد الخامس ، مادة رفق ، المصباح المنير ، ج٣ / ص٣١٨ ، تاج العروس ، ج ٢٥ / ص٣٤٧ .

٥ -الرَّفِيقُ : الصاحب في السفر وجمعه رفقاء او رفاق ، و الرفقة : القوم المترافقون في السفر ، و الرفقة يسمون رفقه ماداموا منضمين في مجلس واحد ، فإذا تفرقوا ذهب عنهم أسم الرفقة ولا يذهب عنهم أسم الرفق ، ومن هذا المعنى ورد قوله تعالى ﴿ وَحَسُنَ أُوْلئكَ رَفِيقْاً ﴾ [١] ، أي رفقاء في الجنة [٢] .

٦ -المَرفِقُ : من مرافق الدار و الكنيف ونحوه ، ومرافق الدار : ومصاب الماء [٣] .

٧ -المرَفَقَ: الامر الرافق بك : هذا الامر رفيق بك وعليك أي نافع وارتفقت بالشيء : أي انتفعت ورفق فلان بفلان اذا نفعه ، قال تعالى :﴿ وَلُيِهَّيْء لَكُم مِنْ أَمْرِكُم مِرّفَقَا﴾[٤] [٥] .

٨ -الرفّقَة او الرّافِقةُ : موضع أو بلد وهي مدينة تعرف اليوم بالرقة ، و الرافقة قرية بمصر [٦] .

---

١ - النساء : (٦٩) .
٢ - ينظر : العين ، ج١ / ص٦٩٩ ، جمهرة اللغة ، ج٢ / ص١١٠ ، لسان العرب ، المجلد الخامس ، مادة الرفق ، المصباح المنير ، ج٣ / ص٣١٩ ، تاج العروس ، ج ٢٥ / ص ٣٤٧- ٣٤٨ .
٣ - ينظر العين ، ج١ / ص٦٩٩ ، لسان العرب ، المجلد الخامس مادة الرفق ، المصباح المنير ، ج٣ / ص٣١٨ ، تاج العروس ، ج٢٥ / ص ٣٤٧ .
٤ - الكهف : (١٦)
٥ - العين ، ج١ / ص٦٩٩ ، جمهرة اللغة ، ج٢ / ص١٠٩ ، لسان العرب ، المجلد الخامس ، مادة الرفق ، المصباح المنير ، ج٣ / ص٣١٩ ، تاج العروس ، ج٢٥ / ص ٣٥٢ .
٦ - ينظر : جمهرة اللغة ، ج٢ / ص ١١٠ ، لسان العرب ، المجلد الخامس ، مادة الرفق ، تاج العروس ، ج٢٥ / ص ٣٥٠ ــ ٣٥٣ .

٩ -رَفيق المرأة : زوجها ورفيقة الرجل : أمرأته [١] .

١٠ - رَفّقَ : بمعنى أنتظر .[٢]

أما المعاني التي تفرد بها معجمي واحد دون غيرة وهي ما وصفتها بالمعاني الغير متفق عليها فهي :-

١ -ذكر صاحي اللسان للرِّفْقُ معنى لم يذكرهُ غيره ، فهو بمعنى قُلَّة ، ومعنى اخر حيث قال : الرَّفَقُ : الماء القصير الرشا و المرتفق : المرتفع . [٣]

٢ - ورد الرِّفْقُ بمعنى القصد ، فيقال : رفقتُ في السير أي قصدت ، ويقال رفقت العمل بمعنى أحكمتهُ .[٤]

٣ - الرِّفَقُ : ((حسن الانقياد لما يؤدي الى الجميل)) .[٥]

٤ -الرَّفقُ : فساد في الاحليل من سوء حل بحالي ، و الرفق ايضاً بمعنى السهولة : فيقال : ماء رَفَقٌ اي مرتع سهل .[٦]

---

١ - ينظر : لسان العرب ، المجلد الخامس ، مادة الرفق ، تاج العروس ، ج ٢٥ / ص ٣٥٢ .
٢ - ينظر : لسان العرب ، المجلد الخامس ، مادة الرفق ، تاج العروس ، ج ٢٥ / ص ٣٥٢ .
٣ - ينظر : لسان العرب ، المجلد الخامس ، مادة الرفق .
٤ - ينظر : المصباح المنير ، ج٣ / ص٣١٨ .
٥ - تاج العروس ، ج ٢٥ / ص ٣٤٦ .
٦ - تاج العروس ، ج ٢٥ / ص ٣٥٠ .

من خلال ما تقدم نجد أن معنى الرفق يكاد يكون متفقاً عليه عند أغلب العلماء واصحاب المعاجم ، سوى بعض المعاني التي يذكرها عالم دون أخر ، هذه المعاني قليله عند أصحاب اللغة كما تقدم ، فالرفق من خلال ما سبق ، ضد العنف ، ويتصل به المصاحبة وحسن الانقياد، و التأني و الأحكام .

المبحث الثاني .

الرِّفْقُ اصطلاحاً : -

لا يبتعد المعنى الاصطلاحي للرِّفْق عن معناه اللغوي كثيراً ، فقد عرفهُ الزمخشري قائلاً : ((لين الجانب و لطافه الفعل)) [١] . أما الحافظ أبن حجر فذهب قائلاً هو : ((لين الجانب بالقول و الفعل ، و الأخذ بالسهل وهو ضد العنف)) [٢] .

وقد ذكره الكفوي في الكليات تعريفاً للرِّفْق فقال : ((التوسط و اللطافة في الأمر)) [٣] .

وذكر العظيم أبادي ان الرِّفْق هو ((المداراة مع الرفقاء ، ولين الجانب ، و اللطف في اخذ الأمر بأحسن الوجوه وأيسرها)) [٤] .

وقد تابع المباركفوري العظيم ابادي في تعريفة ولم يضف عليه ، وكل هذهِ التعريفات وأن كانت مختلفة في ألفاظها وعباراتها ، الا انها متقاربة قي مدلولاتها ، فالرِّفْقُ في كل ما تقدم هو لطف ولين ، و يلاحظ في اللطف الرقة و التوجه نحو الجزئيات ، ويلاحظ في الرفق اليسر في الامور وسهولة التوصل اليها ، و الرفق متصل بالإنسان لانه سلوك كريم يتصل بأقوال وأفعال الآدميين .

---

١ - أساس البلاغة ، مادة (رف ق) .
٢ - فتح الباري ، ج ١٠ / ص ٤٦٤ .
٣ - الكليات ، ص ٤٨٢ .
٤ - عون المعبود ، ج ١٣ / ص١١٢ ، تحفة الاحوذي ، ج٦ / ص١٣٠ .

ولم يذكر ابي هلال العسكري في كتابة تعريفاً للرِّفْق ، ولكن نجده يفرق لنا بين الشفيق و الرفيق قائلاً: ((انه قد يرق الانسان لمن لا يشفق عليه ، كالذي يؤذ الحوؤدة فيوق لها لا محاله ، ، لان طبع الإنسان يوجب ذلك ، ولا يشفق عليها لأنه لو أشفق عليها ما وأدها)) [1] .

فالعسكري ه نا لم يذكر تعريف الرفق ولكن نجدة يتكلم عن الرفق كونه شخص يحمل هذه الصفة، ومن خلال ما ذكر نجدة يشير الى أن الرفق اخص من الشفقة ، فالشفقة تحمل ما عني كثيرة وشاملة ومن ضمن معانيها الرفق ، إضافة الى معاني أخرى تجعل الشخص الذي يمتلكها شفيقا ، رفيقاً ، رحيماً ، وودوداً وغيرها من صفات الحمد في الإنسان ، فالشفق على حالة المثال الذي ذكره العسكري هو ما يدعى أن يكون في داخل الإنسان رأفتاً تجعله غير قادر على الوئد ، ولكن في الرفق يرق الإنسان لهذهِ الموؤده ولكن يئدها لا محاله ، فالشفقة عنده أعم وأشمل من الرفق .

[1] - الفروق اللغوية ، ص ٢٢١ .

ومن خلال ما ذكر من صفات الرفق نستطيع أن نقول أن الرفق هو : سلوك أنساني يتميز باللطف في المعاملة وسهولة في القول و الفعل و الحسن بالإضافة الى اتصاله بالخير من غير خشونة وعنف .

وفي المعنى السابق وردت الكثير من الآيات التي تؤكد وجوب أن يتعامل الإنسان بلطف و الين ويأخذ الأمور بحسن فقال تعالى : ﴿ وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ [1] ، فقد أجمع العلماء و المفسرين في وجود الحسن و اللطف مع من نجادل ، وأيضاً قوله تعالى:﴿ قولا له قولاً لينا﴾ [2] ومعنى الاية كما ذكر المفسرون لا يبتعد كثيراً عن الاية السابقة في وجوب المعاملة بلطف ولين وسهولة مع الآخرين واستعمال ألطف الأقوال وأحسنها .

ثم جاءت السنة الشريفة تؤكد وجوب الرفق ، ففي هذا المعنى ورد الحديث الشريف عن الرسول محمد (صل الله عليه واله وسلم) : ((ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف ومالا يعطي على ما سواه)) [3] .

---

[1] - النحل : (١٢٥)

[2] -

[3] - صحيح مسلم ، باب فضل الرفق ، ص ١٠٨٨

الفصل الثاني

مفهوم الرفق في القرآن

الفصل الثاني

الآيات القرآنية :

بعد البحث في النصوص القرآنية تبين ان الرفق في القرآن الكريم لم يرد بأصل الكلمة ، وإنما ورد اشتقاقا من (الرِّفْق) ، وهذه الاشتقاقات وردت في مواضيع خمس فقط ، لم أجد في القرآن غير هذهِ المواضع وهي حسب الترتيب القرآني كالتالي :-

١ -قوله تعالى : ((ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين وحسن أولئك رفيقاً))[١] .

ذكرت كتب التفاسير الكثير من الروايات في سبب نزول هذه ألأيه ، ولكن الأشهر أنها وردت في ثوبان مولى رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) ، حين كان شديد الحب للرسول ويخشى ان يفارقه بعد وفاته ، وقد ذكر ثوبان خوفه للرسول فنزلت الايه الكريمة[٢] .

وقد ورد في معنى هذه الايه ان الله تعالى بين حال المطيعين لله ورسوله بإتباع أوامره واجتناب نواهيه بأنهم مع النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين في الجنة رفقاء وما احسنهم من رفقاء [٣] .

وقد ذكر ان معنى الصديقين ان الصديق هو المصدق بكل ما أمر به تعالى وان الشهداء هم الذين قتلوا في سبيل الله في الجهاد ،

---

١ - النساء / ٦٩ .
٢ - ينظر ، مجمع البيان ، الطوسي ، ج٣ / ص٩٢ ، التفسير الكبير ، الرازي ، ج١٠ / ص١٣٢-١٣٦ .
٣ - ينظر : مجمع البيان ، ج٣ / ص ٩٢-٩٣ ، التفسير الكبير ، ج١ / ص ١٣٢-١٣٦ ، التحرير و التنوير ، ابن عاشور ، ج٥ / ص١١٦ .

و الصالحين هم المؤمنين الذين تبلغ درجتهم الأنبياء [١] .

وذكر أن النبيين يحملون هذهِ الصفات الثلاثة – الصدق ، الشهادة و الصلاح – وهناك من قال أن النبيين يغايرونها ، وهناك من قال أن النبيين و المطيعين ليسوا في درجة واحدة ، لأنهم لو كانوا كذلك لاقتضى ذلك التسوية بين الفاضل و المفضل وهذا لا يجوز [٢] ، وحسن فعل مراد به المدح ملحق بنعم ومتضمن المتعجب من حسنهم أي ما أحسنهم حسنوا من جنس الرفقاء و الرفيق ليستوي فيه الواحد و الجمع[٣] .

فكلمة (رفيقا) مشتقة من (رفق) بمعنى صاحب او جالس ، وهذا واضح جداً في الآية الكريمة .

٢ -قوله تعالى : ((يا أيها الذين أمنوا أذا أقمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرفق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين وأن كنتم جنباً فاطهروا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احدٌ منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمتهُ عليكم لعلكم تشكرون)) [٤] .

المعنى العام للآية ،انه اذا أردتم القيام الى الصلاة وأنتم على غير طهر فعليكم أن تتطهروا بالوضوء ، وقد حذف الأمر بالإرادة لان في الكلام ما دل عليه ضمناً ، وقد ذكرت الروايات ان الأمام علي (عليه السلام) كان يتوضأ لكل صلاة وكذلك الخلفاء وهذا الغرض- الوضوء – لكل صلاة في بدأ الإسلام ثم خفف نسخاً بعد ذلك [٥] .

---

١ - ينظر : مجمع البيان ، ج٣ / ص٩٢ – ٩٣ .
٢ - ينظر : التفسير الكبير ، ج ١٠ / ص ١٣٢-١٣٦ .
٣ - ينظر : التحرير و التنوير ، ج٥ / ص١١٦ .
٤ - المائدة / ٦ .
٥- مجمع البيان و ج ٦ / ص٢٠٥ -٢١١ .

وقد ذكر في الآية الكريمة لفظة (المرافق) فالمرافق هنا جمع مرفق و وقيل ان المرفق هو المكان الذي يرتفق بهِ اي : يتكأ عليه من اليد [١] . و المرفق أسم لما جاوز طرف العظم[٢] .

٣ -قوله تعالى : ((واذا اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا))[٣] .

هذه الآية عموماً تتكلم عن اعتزال اصحاب الكهف عن الناس ومخالطة الغير ، منهم من تركوا مخالطة القوم وما يعبدون من الأصنام بأستثناء عبادة الله تعالى ، وهذا الاعتزال هم اعتزال عقائدي ، فكان الله تعالى حافظ لهم ، فهداهم الى الكهف ونشر لهم رحمته ، و المرفق ما يرتفق بهِ وينتفع به وتهيئه المرفق مستعارة هنا للأكرام و العناية ، وارتفاقهم بالكهف بمعنى انتفاعهم بهز كان خبر مهم بذلك لشدة وثوقهم بفضل الله وقوة تسيقنهم بهِ [٤] ، فالكهف هنا هو بمعنى النفع .

٤ -قوله تعالى : ((وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا))[٥] .

ان المعنى العام لهذه للآية ان الله سبحانه أمر رسوله محمد (صل الله علية واله وسلم) ان يقول الحق المتمثل بدين الإسلام ويبقى الخيار متاح للخلائق اما ان تتبع الخير او تتبع الشر و الهلاك وقد ساوى بين الأمرين ، وأشار انه اعد لمتبعي الهلاك

---

١ - ينظر : مجمع البيان ، ج٣ / ص ٢٠٦ .
٢ - التحرير و التنوير ، ج ٦ / ص١٢٥ – ١٣٢ .
٣ - الكهف / ١٦ .
٤ - ينظر : لتفسير الكبير ، ج ٢١ / ص٤٤٢ ، تفسير الصافي ، ج ١٥ / ص ٢٣٥ ، التحرير و التنوير ، ج ١٥ / ص ٢٧٦ .
٥ - الكهف / ٢٩ .

ناراً وعذاباً اليما ، أما ما ورد في معنى كلمة (مرتفقا) فهي بمعنى منزلاً و أي ساءت منزلاً للرفقة ومكاناً لها ، لان الذين في النار كالذين في الجنة يجتمعون كالرفقاء ، وقال تعالى في وصف أهل الجنة ((وحسن أولئك رفيقا))[١] ، اما رفقاء النار فهم الشياطين و الكفار وبئس الرفقاء هم وبئس مكان للرفقة النار [٢] .

٥ -قوله تعالى ((أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضر من سندس و استبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنَ مرتفقا))[٣] .

ان معنى هذهِ الأيه يقوم على ان الذين يعملون الصالحات سواء كانوا مسلمين او غير مسلمين ، فان هؤلاء هم السعداء في جنات عدن ، ولهم فيها جميع الامتيازات ، من ثواب ومأكل وملبس وغيرها ، اما تفسير قوله ((وحسن مرتفقا))، فهذهِ الجملة تقابل ما تقدم ذكر في السورة نفسها من قوله ((وساءت مرتفقا))[٤] ، و المقصود هنا بالمرفق هو المنزل و المقام ومرتفقا بمعنى منزلاً [٥] .

ومن خلال ما تقدم نجد ان هذهِ المعاني لكلمة (الرفق) تكاد تكون متقاربه الى حد ما في المورد (١ ، ٤ ، ٥) كانت بمعنى واحد في جميع الموارد ولم تختلف الا في الحسن و السوء ، وهذا يوصلنا الى نتيجة ان القرآن يكمل بعضه بعضاً فالقرآن كل متكامل من جميع هذهِ الموارد.

---

١ - النساء / ٦٩ .
٢ - التفسير الكبير ، ج ٢١ / ص٤٥٨ – ٤٦٠ ، تفسير الصافي ، ج١٥ / ص٢٤١ ، التحرير و التنوير . ج١٥/ ص٣٠٧-٣٠٩ .
٣ - الكهف / ٣١ .
٤ - الكهف / ٦٩ .
٥ - ينظر : التفسير الكبير ، ج ٢١/ ص ٤٦٠-٤٦١ ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير . ج٥ / ص٩٤ ، تفسير الصافي ، ج١٥ / ص ٢٤١-٢٤٢ ، التحرير و التنوير ، ج١٥ / ص٣١١ – ٣١٤ .

الفصل الثالث

موارد مفهوم الرفق في نهج البلاغة

الفصل الثالث :-

موارد مفهوم الرفق في نهج البلاغة :

بعد ان ذكرت موارد الرفق في القرآن الكريم وبيان تفسيرها ، شرعت في بيان موارد الرفق في نهج البلاغة ، فالإمام علي عليه السلام لم يترك جانب من جوانب الحياة ومن جوانب شخصية الانسان الا وذكرها في هذا الكتاب سواء في الخطب او الرسائل ام غيرها ، ونلاحظ ان الامام ذكر مفهوم الرفق في هذا الكتاب في مواضع مختلفة ، كما ان معنى الرفق او كلمة الرفق هذهِ ، لم تأتي في كل الموارد بنفس المعنى ولكن نلاحظ انها أختلفت من حيث المعنى . فوردت هذهِ اللفظة واشتقاقاتها بمعاني مختلفة ، ويجد ربي الاشارة الى انني قد فسمت هذهِ المواضيع التي وردت بها كلمة الرفق بحسب معانيها الى مواضيع وهي كالتالي :-

أ - الرفق بمعنى المصاحبة و المرافقة .

ب -الرفق بمعنى الكسب و النفع .

ت -الرفق بمعنى اللطف و اللين ، وهذا يقسم الى :-

١ -استخدام الرفق بشكل ايجابي .

٢ -استخدام الرفق بشكل سلبي .

وبعد ذكر المواضيع يجدر بنا ان نذكر موارد الرفق بحسب المواضيع مع بيان شرحها وهي كالتالي :-

أ - الرفق بمعنى المصاحبة و المرافقة :-

ورد الرفق بهذا المعنى في نهج البلاغة بعدة موارد وهي كالتالي :-

١ -من خطبة للامام علي علية السلام يذكر فيها ابتداء خلق السماء و الارض وخلق ادم :

((ثم سكن آدم داراً أرغد فيها عيشته ، وأمن فيها محلتهُ ، وحذره إبليس وعداوته ، فاغتره عدوه نفاسه عليه بدار المقام ومرافقة الابرار))[1] .

---

١ - نهج البلاغة – الامام علي ، ج١ / ط١ / ص ٢٠-٢١ .

في هذا الجزء من الخطبة يتكلم الامام علية السلام عن اختبار الله سبحانه وتعالى لادم وماذا صنع ادم ازاء هذا الاختبار ، ولابد من وجود سبب لاقحام ادم في هذا الاختبار ولربما كان السبب هو محاولة ادخال ادم في دورة تمهيدية من خلاله يتعرف ادم على مفاهيم الامر بالمعروف و النهي عن المنكر و التكاليف التي يجب ان يتحملها ، وايضاَ لابد من ان يتعرف على اعدائه عن قرب فاباح له ان يسكن الجنة ويأكل ما يشاء عدا شجرة واحدة الا ان وسوس الشيطان ومكره قد أثرت فيه مما دعاة الى التناول من تلك الشجرة وهذا الامر اغضب الله تعالى ودعا أدم الى ان يعود الى الله في ندم وتوبه فحفة الله بلطفة وتاب عليه ، ولكنه حرم ادم من الجنة .

وقد ذكر احد الشراح : ((اعتر أدم عدوه الشيطان اي انتهز منه غرة فأغواه وكان الحامل للشيطان على غوايه ادم فَسرَ له على الخلود في دار المقام ومرافقة الابرار من الملائكة الاطهار))[1] .

وقد أشار شرح أخر الى قولة عليه السلام ((ثم أسكن أدم داراً ارغد فيها عيشته)) وذكر ان في هذا الكلام أشار الى ركنين أساسيين هما الاخرة ووفرة النعم ، وقد أستوحى الامام هذا المعنى من القرآن الكريم حين قوله تعالى : ((وقلنا يا أدم أسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين))[2] ، ثم حذر أدم من عدوه ابليس ، وبذلك أرشدة الى سبيل الفلاح و السعادة ، وبذلك ذكر ان وظيفة التي نهض بها ابليس هي مرافقة الابرار و الاقتراب منهم ليوسوس لهم ويسلبهم النعم الألهية ويقودهم نحو البؤس و الشقاء))[3] .

ونرى ان الامام استخدم كلمة المرافقة من أصلها اللغوي رَّفْق بمعنى المصاحبة و المرافقة كما ذكرت في الفصل الاول في بيان معنى الرفق لغةٍ .

---

١ - شرح نهج البلاغة ، محمد عبدة ، ج١ / ص ٢٢ .
٢ - البقرة ، ٥٣ .
٣ - نفحات الولاية ، مكارم الشيرازي ، ج١/ص١٢٩-١٣٠ .

٢ - من خطبة الامام علي عليه السلام : ((نسأل الله منازل الشهداء ، ومعايشة السعداء ، ومرافقة الانبياء))[١] .

لم يتطرق ابن ابي الحديد في كلامه عن هذه الفقرة من الخطبة ولربما كانت هذه الكلمات واضحة عنده ولذلك لم يتطرق لها .

وايضا لم يذكر محمد عبدة شرح لهذه الفقرة وذكر أخران معنى هذه الفقرة هو الامام اختتم كلامه بهذه الخطبة بالعبارة والتي يرد ان يصل من خلالها الى تعريف الامه بالقيم الألهية الحقة كالشهادة ومرافقة الانبياء وهذه الامور لا يمكن ان يصل لها المرء بسهولة كما انها لا تحصل عليها بالمجان ، ويمكن ان تلاحظ ان الامام استقى عبارتة من القول القرآني : ((من يطع الله ورسوله فأولائك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين و الصديقيين و الشهداء و الصالحين وحسن أولائك رفيقاً))[٢] . فهذه المراحل الثلاث التي ذكرها القرآن – الشهادة و السعادة ومرافقة الانبياء- ايضا ذكرها الامام في خطبتة ، كما انه يمكن ان تكون هذه المراحل من قبيل العلة و المعلول ، فالشهادة سبب لنيل السعادة و السعادة سبب لمرافقة الانبياء ، كما يمكن ان يكون هذا الكلام اشارة الى ما يخبئة المستقبل و شهادة الامام علي عليه السلام .[٣] .

٣ -ومن وصية الامام علي عليه السلام لأبنه الحسن كتبها اليه بحاضرين عند أنصرافة من صفين : ((سل عن الرفيق قبل الطريق)) [٤] .

وذكر احد الشراح في بيان الشرح هذه الفقرة من الخطبه قوله : ((وقد روي هذه الكلام مرفوعاً وفي المثل : الرفيق اما حريق او رحيق))[٥] .

---

١ - نهج البلاغه ، ط٢٣ ، ج١ / ص ٤٨ .
٢ - النساء / ٦٩ .
٣ - نفحات الولاية ، ج٢/ص٣٤.
٤ - نهج البلاغه ، ج٣ ، ر ٣١ / ص ٣٧٢ .
٥ - شرح أبن أبي االحديد ، ج ١٦ / ص٢٦٧ .

وذكر اخر ان السفر يبرز أخلاق المسافر ، فأذا صاحب احداً في سفرة وكان هذا الشخص جاهلاً فلا بد أن تظهر معالم صفاتة وغرائزه وايضا يزعجك ويجني عليك [١] .

واضاف اخر ان التجارب اكدت صحة الكلام الذي ذكره الامام ، لان الناس جربوا ذلك كثيرا ، لان الستار و الحجاب يزول في السفر غالبا وتبرز بواطن الاشخاص وما في صدورهم ، لان لو كان رفيق السفر شخص وقح وغير متورع او بخيل وسيئ الخلق مع الاخرين كان ذلك سبب في ان يسلب الراحه و العناء ممن حولة في السفر . [٢]

وبناءً على ما تقدم فأن الرفيق مشتق من الرفق وهو بمعنى الصاحب في السفر وهذا واضح جداً في هذهِ العبارة .

هذا كل ما ورد في نهج البلاغة من معنى المصاحبة و المرافقة في النهج ولم اجد سوى هذه الموارد الثلاثه للرفق بهذا المعنى .

ب -الرفق بمعنى التكسب و النفع :

ورد المرفق بهذا المعنى في النهج في موارد عدة وهي :-

١ -ورد بهذا المعنى – الكسب و النفع – في قول امير المؤمنين عليه السلام في عهدة الذي كتبه لمالك الاشتر لما ولاه مصر: ((ولاقوام لهم جميعاً الا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ، ويقيمونه في اسواقهم ، ويكفونهم من الترفق بأيديهم ما لا يبلغة رفق غيرهم))[٣] .

ذكر احد الشراح ان معنى هذهِ الفقرة : ((التجار و ذوي الصناعات قوام لمن قبلهم بسبب المرافق اي المنافع التي يجتمعون لأجلها ، ولها يقيمون الاسواق ويكفون سائر الطبقات من الترفق ، اي التكسب بايديهم ولا يبلغة كسب غيرهم من سائر الطبقات))[٤] .

---

١ - شرح ابن ابي الحديد ، ج ١٦ / ص ٢٦٧ .
٢ - في ضلال نهج البلاغة ، محمد جواد مغنية ، ج٥ / ص ٢٥١-٢٥٢ .
٣ - نهج البلاغة ، ج ٣ / ص ٣٩٧ .
٤ - شرح محمد عبدة ، ج ٣ / ص ٩٠-٩١ .

وذكر احد ان جمله : ((فيما يجتمعون)) و ((يقيمون في اسواقهم)) اشارة الى التجار و الكسبة الذين يقع على عاتقهم توفير ما يحتاجة الناس في المناطق القريبة و البعيدة وعرضها في الأسوق تحت اختيار المستهلك ، ولكن جمله ((ويكفونهم من الترفق بأيديهم)) اشار الى اهل الصنائع الذين يوفرون بتعبهم وعملهم الوسائل التي يحتاجها الناس في عيشهم من خلال صناعتها بأيديهم تبعاً لظروف الزمان و المكان ، وربما يتصور البعض ان التجار ليس لديهم دور في الحياة ، فلا يقيمون بعمل انتاجي ولا غيره فكيف يجعلهم الامام من اركان المجتمع ، ولكن اذا كان هذا التاجر ملت زم بالقيم الإيمانية الأخلاقية فأنه يلعب دورا في نسيج المجتمع ، لانه من جهة يقوم بتوفير البضائع من مناطق مختلفة من العالم لا تتوفر في اخرى[١] .

٢ -ورد في نفس العهد السابق قوله علية السلام : ((ثم استوص بالتجار و ذوي الصناعات ، واوص بهم خيراً : المقيم منهم ، و المضطرب بماله ، و المرتفق ببدنه ، فأنهم موارد النفع واسباب المرافق))[٢] .

ورد في شرح هذه العبارة في العهد ان الكلام اختص بالتجار و الصناع ،المضطرب بماله هو المتردد بين البلدان بأمواله ، و المترافق : المتكسب .

و المرافق فسرت بالمنافع وحقيقتها أي المرادفها : ما يتم به الانتفاع كالأنيه و الأدوات وما شابه [٣] .

وذكر شرح اخر ان الامام اوصى بالتجار خيراً وكذلك اوصى بأصنافهم المقيم و المضطرب في تجارته بماله و المرتفق ببدنه الذين هم أصحاب الصنائع ، كما ان لوصيته حكمة و العناية بهم أيضا لها حكمة وهي انه لا مضرة فيهم وذلك قوله : فأنهم . الى قوله : كاتلته . في موضع لاحق . وكل من كان كذلك فيجب الأستيصاء به و الوصية بالخير في حقه

---

١ - نفحات الولاية ، ج ١٠ / ص ٣٦٤ – ٣٦٦ .
٢ - نهج البلاغة ، ٥٣ ، ج٣ / ص ٣-٤
٣ - شرح محمد عبده ، ج ٣ / ص٩٩

، وأيضاً ان يتفقد امورهم بحضرته وفي حواشي بلادة ، ما عساه يعرض لهم من المظالم و الموانع ليزيلها عنهم [١] .

وقد ذكر شرح اخر ان أضطراب التاجر بماله : انتقاله من بلد الى اخر ، و المرتفق ببدنه : المعتمد عليه في المكسب . و المرافق : المنافع [٢] .

في المواصفات السابقة بين الرفق بمعنى الكسب و النفع وبعد ذلك لابد لنا من ان نعرض الرفق بمعنى اللطف وهذه المعنى بدورة قسم الى قسمين وهما :

أ - رفق ايجابي : وهو استعمال لين ولطيف .

ب -رفق سلبي : وهو استعمال لين ولطف ظاهراً ولكن عند التأمل نجده متضمن معنى خبث وعنف وسنبدأ بالرفق بالنوع الأول وهو اللين و اللطف :

١ -يقول الامام علي عليه السلام في عهدة الذي كتبة لمالك الاشتر ((ومنها عمال الانصاف و الرفق))[٣] .

وقد ذكر أحد الشراح ان المقصود الأهم الولاة الذين يعينهم الخليفة لينصفوا الناس ويرفقوا بهم))[٤] .

وذكر آخران الامام صنف سبع طبقات للمجتمع ومن هذه الطبقات هم عمال الانصاف و الرفق وهم الموظفون في دوائر الدولة ، وفي هذا الكلام أشار الى ان هؤلاء الموظفون في الولايات و المحافظات لأدارة لامدن و المناطق في البلاد وأضاف كلمة (الانصاف) الى كلمة (الرفق) ، أشار الى انه يجب ان نختار الاشخاص لهذه المهنه من اللذين يتمتعون بالصنفين السابقين- الانصاف و الرفق . وذلك من خلال أيصال الحقوق الى اصحابها و التعامل مع الناس بجودة ورفق ومحبة ولين.[٥] .

---

١ - شرح البحراني ، ج٥ / ص ١٥٩ .
٢ - في ضلال نهج البلاغة ، ج٥ / ٤٣٦ .
٣ - نهج البلاغة ، ر ٥٣ ، ج٣ / ص ٣٩٧
٤ - شرح ابن نابي الحديد ، ج ١٧ / ص٥٧ .
٥ - نفحات الولاية ، ج١٠ / ص ٣٥٤-٣٥٦ .

٢ ـفي العهد السابق نفسه يقول الامام : ((الرفق بالرعية))[١] .

ذكر أحد الشراح ان الامام قد أمر مالك الاشتر بقوله هذا : ((ان يتفقد اعمالهم ويبعث العيون و الجواسيس من اهل الصدق و الوفاء عليهم ، وأشار الى وجهة المصلحة في ذلك يقول : فأن تعاهدك ، المجله السابقة للمورد ، الى قوله بالرعية . فأن تعهدة لأمورهم مع علمهم بذلك فلفه يبعثهم على أداء الامانه فيما يزاولونه من الاعمال وعلى الرفق بالرعية)) [٢] .

٣ ـذكر الامام عليه السلام في عهد لمالك : ((والثقة بهم بما عودتهم من عدلك عليهم ورفقك بهم))[٣] .

ذكر البحراني في شرحة لهذه العبارة انه ذا اعتمد فضل قولهم من خلال عملهم واخلاصهم له بان يربحهم ويعدل معهم ويثق بهم ، فأن ذلك مراعاة الى ان يبادرونه بأفضل ما لديهم من عمل ، فاصحاب الخراج يمكن أن يعول عليهم في عمران ارضهم واحتمال الحوادث التي قد تعترض لها بلادهم ، لذا عليه الرفق معهم من أجل اخراج افضل ما لديهم ،[٤] وقال أخر : ((ليس من الشك ان الرعية تمنح الولاء المخلص و الكثير من الحكومات تخصص مبلغ من الميزانيه لمثل هذه الطوارء))[٥] .

٤ ـوأيضا قال الامام عليه السلام في نفس العهد : ((وان ظنه الرعية بك حيفاً فأصحر لهم بعذرك واعدل عنك ظنونهم باصحارك ، فأن في ذلك رياضة منك لنفسك ، ورفقاً برعيتك))[٦] .

وذكر شارح ان معنى الكلام هذا هو : ((وان فعلت فعلاً ضنت الرعية ان فيه حيفاًاي ظلماً فأصحر ، اي ابرز لهم وبين عذرك فيه واعدل عنه كذا ، و الأصحار : الظهور ، من

---

١ ـ نهج البلاغة ، ر ٥٣ ، ج ٣ / ص ٤٠١ .
٢ ـ شرح البحراني ، ج ٥ / ص ١٥٥ .
٣ ـ نهج البلاغة ، ر ٥٣ ، ج ٣ / ص ٤٠٢ .
٤ ـ شرح البحراني ، ج٥ ،/ ص ١٥٧ .
٥ ـ في ضلال نهج لبلاغة ، ج ٥ / ص ٤٢٩ .
٦ ـ نهج البلاغة ، ر٥٣ ، ج ٣ / ص ٤٠٧ .

أصحر اذا برز في الصحراء . رياضة ، تعويداً لنفسك على العدل . و الاعذار : تقديم العذر أو أبدائه))[١] .

وذكر أخران الامام امر مالك ان يقدر ان الرعية تظن به حيفاً ان يصحر لهم عذره فيما ظنوا فيه الحق ويعدل عنه ظنونهم باظهاره ، ورغب في ذلك بضمير حفره قوله : فإن . الى قوله : الحق : اي فإن في أظهار عذرك لهم ان تصير ذا عذر تبلغ به حاجتك من تقويمعهم على الحق من معرفتهم ان فعلك حق لا حيف فيه، و تقدير كبراه : وكل ما كان كذلك فينبغي فعله))[٢] .

٥ -وقال عليه السلام في كتاب له الى بعض عماله : ((واخلط الشدة بضغت من اللين وأرفق ما كان الرفق رفق))[٣] .

وذكر احد الشراح في بيان في معنى هذه العبارة : (بضغى : يخلط : اي شيء من اللين تخلط به ، الشدة))[٤] ، واضاف احدهم ان تدبير امور الحكومة و الولايه واجراء البرامج الاجتماعية لا يتحقق باعتماد اليات العنف و القوة فقط بل ينبغي على الوالي ان يخلط اللين بالشدة لان اسلوب القهر يتسبب في نفور الناس وعداوتهم كما انه لو استخدم اللين دوما فأن كثير من الأفراد لا يأخذون عملهم على محمل الجد ، لذلك لابد من ان يكون الاصل في جميع اشكال الادارة ، وهو الرفق و المدارة ، ولكن هذا اللين و الرفق اذا استغل فهنا لابد من استخدام الشدة [٥] .

وذكر اخر في شرح هذهِ الفقرة الى وجوب الاعتدال في معاملة الناس . اي التوازن في استخدام الشدة و اللين ، على ان الرفق انفع من العنف لرتبك ارتباك ، ولا يستخدم العنف الا للقضاء على العنف [٦] .

---

١ - شرح محمد عبدة ، ج ٣ / ص ١٠٥ .
٢ - شرح البحراني ، ج٥ / ص ١٠٧ .
٣ - نهج البلاغة ، ر ٤٦ ، ج٣ / ص ٣٨٧ ــ ٣٨٨ .
٤ - شرح محمد عبده ، ج ٣ / ص ٧٦ .
٥ - نفحات الولاية ، ج١٠ / ص ١٩٦-١٩٧ .
٦ - في ضلال نهج البلاغة ، ج ٥/ ص ٣٢٢ .

٦ -وفي عهدة علية السلام لمالك يقول:((وخادع نفسك في العبادة ، وارفق بها ولا تقهرها))[١] .

في هذه الفقرة من الرسالة اراد الامام ان يخادع الانسان نفسه في العباده ،لان النفس من شئنها ان تتبع ميولها واهوائها فباكري . ان تخادع عن ما هو مالوف في الحياة الى غيره تاره بأن يدعي الوعد و الوعيد ، وربما بالاستشهاد بمن هو دونها ممن سحر في عباد اله ، وتاره بالتفريط في جني اله ، فإذا سلك بها فينبغي ان يكون الرفق ولكن من غير قهرها للعبادة لكون ذلك مدعاة للتكلل و الملل و الانقطاع [٢] .

وبعد بيان مواضع الرفق بالنوع الاول وهو اللين و اللطف ، نورد هنا الاستخدام الاخر وهو السلبي :-

١ -يقول علية السلام في كتابه الى اهل الكوفة : ((وارفق مدائها العنيف))[٣] .

فما ورد في شرح هذهِ العبارة ، فقد ذكر احد الشراح : ((و الحداء العنيف أرفق ما يحرضان به عليه))[٤] ، وذكر اخران ان الامام يتكلم عن حادثة فقتل عثمان وارهاصات معركة الجمل ولم يذكر شرح لهذهِ العبارة وذكر أيضاً في هامش كتابه : ((ان الحداء بمعنى اطلاق الصوت في مسير القافلة لتسريع حركة الابل ثم اخلقت على كل من يبعث على التحرك لاداء عمل معين))[٥] .

٢ -وقال علية السلام في وصيتة لابنه الحسن : ((أذا كان الرفق خرقاً كان الخرق رفقاً))[٦]. رفقاً))[٦].

وقد ذكر احد الشراح ان معنى هذهِ العبارة من قول الامام ، ان اذا استخدم الانسان الرفق في مفسرة وزيادة في ش ، اي انه اذا استخدمه في غير موضعه الصحيح ، فالأفضل ان لا يستعمله لانه حينئذ ليس برفق وانما هو خرق و لان الشر لا يلغي الا بشر مثله [٧] .

---

١ - نهج البلاغة ، ر ٦٩ ، ج ٣ / ٤٢٥ .
٢ - شرح البحراني ، ج٥ / ص ٢١٠ .
٣ - نهج البلاغة ، ر ١ ، ج٣ / ص ٣٣٥ .
٤ - شرح ابن ابي الحديد ، ج ٤ / ص ٢١٤ .
٥ - نفحات الولاية ، ج٩ / ص١٢-١٣ .
٦ - نهج البلاغة ، ر ٣١ ، ج ٣ / ص ٣٧٠ .
٧ - شرح ابن ابي الحديد ، ج ١٦ / ص ٢٥٣ .

وذكر آخران ان اصل مناهج في الحياة يقوم على اساس المداراة و الليونه و العطف، ولكن قد يوجد بعض الأشخاص سيسيئون الاستفادة من هذا السلوك الذي هو جيد بطبيعة الحال ، ولذلك تزداد حالات العنف فيهم ، فمع هؤلاء الأشخاص يكون استخدام العنف الطريق الوحيد لإصلاحهم [1] .

ومن خلال ما تقدم يجدر بنا الاشارة الى ان جميع المواضيع التي وردت فيها كلمة الرفق او اشتقاقاتها تغلب عليه صفة العطف و اللين و الرحمه ، وقد تكون بمعنى المرافقة وربما يلاحظ القارئ ان المرافقة الواردة في معنى الرفق غالباً ما تحضر بمرافقة الصالحين ، حيث الورد الامام ((مرافقة الابرار))و((مرافقة الصالحين)) .
ومن خلال هذا نعلم ان الرفق صفة ملتصقة كل الالتصاق بالصالحين و المؤمنين الرحيمين .

ونلاحظ ايضاً ان اغلب خطب الامام مستقاة من القرآن الكريم .

ويجد ربي الاشارة الى انني لم استوف جميع الموارد التي وردت بها كلمة الرفق لان اغلب معانيها متشابهة ولا يوجد اي أضافة حتى ان بعض الشراح لم يلتفت الى معنى هذهِ الكلمات اذا وردت في مواضيع يوضح فيه معناها .

واما السبب الاخر خوفاً من الاطاله في الكلام عن أشياء مكررة وبذلك اخرج عن منهج البحث العلمي الذي قد يؤدي الى اطالة جزء من البحث على حساب الاخر .

---

١ - نفحات الولاية ، ج ٩ / ص ٥٥٤ ــ ٥٥٥ .

الفصل الرابع

الأثر القرآني في نهج البلاغة

الفصل الرابع ــ

الأقتباس القرنني في نهج البلاغة :-

بعد بيان معنى الرفق وبيان موارده في القرآن و المهج لا بد لنا من اتمام ما بدئنا به وهو بيان قرآنيه النهج ، فالقرآن الكريم نص متكامل الجوانب لغوي ومنظم وبديع بألأضافة الى انه قد عالج مشاكل الحياة جميعها ونتيجة لذلك أصبح كتاب للناس جميعاً وليس للمسلمين فقط ، ونتيجة لذلك نرى ان أغلب الاباء و المؤلفين يستقوم منه في كتاباتهم وكان اول من بادر بهذا هو الامام علي عليه السلام حيث ان الامام علي جعل القرآن أساسا الى أغلب كلامه ، فكان كتابهم (نهج البلاغة) متأثراً تأثيراً عميقاً بالقرآن الكريم ، ويجدر بنا ان نتعرف الى كيفية هذا التأثير وعلى أي هيئة ، ومن خلال القرأة الفاحصة للنهج نجد ان الإمام قد أقتبس من الآيات القرآنية الكثير من كلامه سواء اقتباس مباشر او غير مباشر ، ولا بد لنا هنا من بيان معنى الاقتباس .

قد ذكر أن الا قتباس في اللغة مأخوذ من قبس ، والقبس هو النار و القبس شعلة من النار ومثل ان القبس شعلة من النار تقتبسها من معظم واقتباسها بمعنى الأخذ منها ، و القابس طالب النار وهو فاعل من قبس و الجمع اقتباس وأقتبس منه علماً أي استخدمته [1] .

اما في الاصطلاح فقد ذكر الكثير م ن العلماء ومنهم من أضاف الى السر قات الشعرية حيث ذكر صاحب جواهر البلاغة انه يتصل بالسرقات ثمانية انواع و منها هو الاقتباس وهو ان يضمن المتكلم منشودة او منظومة شيئاً من القرآن و الحديث على وجه لا يشعر بانه منها[2] .

---

١ - ينظر : لسان العرب ، ج٦ ، مادة قبس .

٢ - ينظر ، جواهر البلاغ ، احمد الهاشمي ، ص١٣٧ ــ ١٤٠

وقد ورد في تعريف اخر ذكره صاحب الايضاح حيث قال : ((اما الاقتباس فهو : ان يضمن الكلام شيئاً من القرآن و الحديث ، لا على انه منه))[١] .

وبعد بيان معنى الاقتباس لغةً واصطلاحاً ، لا بد لنا من بيان اقسام الاقتباس فالاقتباس يقسم بدورة الى نوعين هما[٢] :

١ -اقتباس مباشر : وهو أن يأتي بالنص القرآني مساوقاً لاصله ولا تمارس علية تعد يلات وان كانت فهي طفيفه لاتؤثر في شكلة الأصلي .
٢ -أقتباس غير مباشر : ومنه تخيب المحيلات الظاهرية للنص المرجح بحيث تحتاج الى تأمل ونظر عميق من الدارس كي يصل الى النص الذي أثر في بناء النص الجديد.

ومن خلال ما تقدم يمكننا استنباط النصوص البلاغية في النهج التي استقت من النصوص القرآنية وفقاً لضوابط الاقتباس الغير مباشر لان جميع الخطب التي تختص بموضوع الرفق اقتبست بطريقة غير مباشرة من القرآن وتحتاج الى طول نظر وتأمل لكي تصل الى النص الموجه لهل من القرآن الكريم .

١ -يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : (وأخلط الشدة بضعف من اللين ، وارفق ما كان الرفق ارفق ، وأعتزم بالشدة حيث لا يغنى عنك الا الشدة)[٣] ، هنا يستدعي الأمام مرجعية للنص بعضها قرآني بحكم المضمون ، فالامام قد استقى قوله هذا من

١ - الايضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، ص٣١٢ .
٢ - مجلة العميد ، المجلد الرابع .. العدد السادس ، القرآن في نهج البلاغة ، ص ٦٩-٨٧ .
٣ - نهج البلاغة ، ر ٤٦ ، ج٣ / ص٣٧٨- ٣٨٨ .

النص القرآني : ((ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم))[1] ، حيث ترى ان الإمام ضمن علامة هذا النص ، فهو ذكر بقوله في ما معناه ان يخلط القوة بالضعف و الشدة باللين وكذلك الله تعالى أمرنا ان تدفع الأسائة بالرفق و اللين لأجل النجاة من مشاكل الحياة المتكاثرة ولاج ل أن نحيا رفقاء محسنين في دنيانا ولأجل نيل رضوان الله ورسوله ، فالامام يأمرنا بما أمرنا به القرآن ، وليس كل ما ذكره الامام راجع الى القرآن لأننا نلاحظ قولة : (وأعتزم الشدة حين لا تغني عنك الا الشدة) فلم أجد ما يؤيد هذا القول في القرآن وهذا ليس شيئاً سيئاً لان الامام يوسع لنا ما بدأ به القرآن الكريم ولهذا فكلام الامام متمم لكلام القرآن ، لا لأن القرآن غير كامل حاشى له من ذلك وانما لأن العقل البشري بعض الاحيان لا يفهم المراد من القرآن فبين لنا الأمام ذلك .

٢ -يقول الامام عليه السلام : (ورفقاً برعيتك)[2] ، هذه العبارة البسيطة التي ذكرها الامام تعود الى أصل قرآنب بحت ولكن بحاجة الى تأمل عميق لمعرفة هذا الاصل وهذه الكلمات تحيلنا الى نص قرأني يق‌ول : ((لقد جائكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنيتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف حكيم))[3] .

في هذه العبارة نجد الامام يتكلم عن الرفق بالرعية و اللين في التعامل معهم ، وهذا الكلام وارد اصله في النص القرآني السابق حين ذكر احد المفسرين أن هذه الأية من سورة التوبه حيث ان هذه السورة فيها شدة وغلظة عل المشركين واهل الكتاب و المدينة و الاعراب ، ثم نوه على المؤمنين الذين هاجروا مع الرسول و الذين نصروه ، حيث ذكر الله هذهِ الايه تذكيراً بمنتهُ عليهم ببعثة للرسول محمد (صل الله عليه واله

---

١ - فصلت ، ٣٤ .
٢ - نهج البلاغة ، ج٣ ، ر ٥٣ ، ص٤٠٧ .
٣ - التوبة : ١٢٨ .

وسلم) و التنويه على فضاله ومن أخصها رحمتهُ بهم رفقه بهم [١] ، فالامام تمثل هذه الايه في كلامه واختصرها بالرفق فقط ، لان الايه موسعه الى حد ما ، فالرئفه و الرفق

كلمتان متقاربتان في المعنى الى حد ما ، فالامام عليه السلام تمثل رفق الرسول المذكور بالقرآن في كلامه ، وهنالك نص قرأني أخر يمكن ان يكون مرجع اخر للأمام لأستقائه عبارته منه وهو قوله تعالى : ((وما تعرض عنهم أبتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسورا))[٢] .

وقد ورد في معنى اليسر هو السهولة و اللين و الحسن ، فالسهولة و اليسر من متطلبات الرفق بما اليسر هو اللين وا لحسن ، وذكرنا في الفصل الأول ان الرفق هو حسن ولين ايضاً ، فهما على اساس ما تقدم متقارباً بدرجة كبيرة ، وبناءً على ما سبق فالأمام بنى عبارته على اساس قرآني بحت [٣] .

٣ -يقول امير المؤمنين عليه السلام : ((وخادع نفسك في العبادة ، وارفق بها ولا تقهرها))[٤] ، ففي هذهِ الخطبة يأمر الامامم بالترفق بالعبادة لان قهرها يسبب الملل و الكلل ، وهذا الكلام أوضحة الله تعالى في كتابه الكريم : ((لا يكلف الله نفساً الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت))[٥] ، حيث يرى احد المفسرين ان هذهِ الايه تفسر بأن الله لم يجعل هذا الدين مشقة وانما هو ما يطاق ويستطاع عند الانسان وهو ما اعتاد الناس قدرتهم على ان يفعلوه ان توجهت ارادتهم لفعله مع انتفاء الموانع ، وهو دليل على عدم التكليف بما فوق الطاقة في دين الله عز وجل ، فالشريعه الاسلامية أمتازت باليسر و الرفق بشهادة قوله تعالى : ((وما جعل عليكم في الدين كمن

---

١ - التحرير و التنوير ، ج ١١ / ص ٧٠ .
٢ - الأسراء : ٢٨ .
٣ - التحرير و التنوير ، ج١٥ / ص ٨٢-٨٤ .
٤ - نهج البلاغة ، ج٣ ، ر ٦٩ / ص ٤٢٥ .
٥ - البقرة : ٢٨٦ .

حرج))[1] [2] ، فهذه الاية تلتقي مع قول الامام عليه السلام في انها تدعوا الى الرفق بالعبادة وعدم التكلف بها ، وبناءً على ما سبق فان الامام أستخدم النص القرآني في كلامه ولكن بطريقة جديدة يحتاج الدارس لربطها بالنص الى تفحص دقيق ومرتكز لكي يعيدها الى مرجعها الاساس لها ، فهذا النص ليس من الضروري ان يستدعي اية

قرآنية ، ولكن طول النظر فيه وربطة بأهدافه وما يحتويه يسحب المتلقي الفطن الى جمال النص القرآني الذي احتوى معناه .

وقد ذكر في الفصل الثالث ما استوحاه الامام بشكل يكاد يكون مباشر في حديثة عن الرفقة .

فالامام عليه السلام وصف بأنه القرأن الناطق ، لان الامام عليه السلام لا يتكلم من هوى نفسه وانما كلامه جميعه او اغلبه نابع من القرآن الكريم فهو باب العلم ، فكلام الامام يحمل سلطة محكمة ونادرة ، وقد أمتاز كلام الامام بحضور النص القرأني وقدرة على اجتلاب صورة وتمثيل معانيه ، وهذا ليس بالامر الهين ، لان المعاني القرآنية جديدة على اللغة العربية ، ولم يستطيع اي اديب ان يصل الى المستوى الذي وصل له الامام ، بسبب عدم القدرة على تمثيل القرآن بصياغة نثرية ، ولذلك لم نجد أديباً عربياً أجاد في معاني القرآن كما فعل الامام عليه السلام ، فكان التأثير الحقيقي لابداع القرآن متمثل في الرسول و الامام علي في الخطابة و النثر بشهادة كل الدارسين وكلاهما ارفع بكثير من كلام كل الأدباء ، ولكان الاثر المبكي للقرآن في الكلام العربي على لسان الامام علي ، فما وصلنا من كلامه في النهج بعد من اظهر تجليات الأثر القرآني في الأدب العربي ونتيجة لذلك كان النص القرآني حاضراً في ذهن الأمام علي عليه السلام ، يستدعيه من ذاكرته كيفما يشاء ، فكان قوله وسلوكه تعبيراً عن روح القرآن ولغته ، وسعى ايجاد أحلال هذا الفكر – القرآني – في النفوس ، فكلام الامام مطابق في الأداء و المضمون للقرآن الكريم فعلي مع الحق و الحق مع علي و

---

١ - الحج : ٧٨.

٢ - التحرير و التنوير ، ج٣ / ١٣٤- ١٣٦ .

الحق هو كلام الله جل وعلا ، وعلى أساس ما تقدم ذكره فالامام لا يخرج عن دائرة القرآن الكريم لانه هو القرآن الحق الناطق .

المصادر

قائمة المصادر

١ -القرآن الكريم .

٢ -نهج البلاغة ، الإمام علي عليه السلام ، دار المتقين للثقافة و العلوم و الطباعة و النشر ، بيروت – لبنان ، مؤسسة المراقد المقدسة العالمية ، العراق – النجف الأشراف .

٣ -أساس البلاغة ، الزمخشري ، ت ٥٣٨ هـ ، دار المعرفة ، بيروت .

٤ -الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، ت ٧٣٩ هـ ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٣م – ١٤٢٤ هـ .

٥ -تاج العروس ، السيد محمد مرتظى الحسيني الزبيدي ، ت ١٢٠٥ هـ ، تحقيق ابراهيم الترزي و مصطفى حجازي ، مراجعة عبد الستار احمد فرج ، مطبعه حكومة الكويت ، ١٣٩٢-١٤٠٩ هـ ١٩٧٣-١٩٨٦ .

٦ -التحرير و التنوير ، الأمام أبن عاشور ، ت ١٣٩٣ هـ ، الدار التونسيه للنشر تونس ، ١٨٨٤ م .

٧ -تحفة الاحوذي ، محمد بن عبد الرحمن المباركفوري ، بيروت – لبنان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ .

٨ -التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي ، ت ١٢٠٩ هـ ، دار احياء التراث العربي للطباعه و النشر و التوزيع ، بيروت – لبنان ، الطبعه الرابعة ، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .

٩ -تفسير القرأن العظيم ، الحافظ ابن كثير ، ت ٧٧٤ ه ، مكتبة المملكة المغربية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥ ه – ٢٠٠٤ م .
١٠ - تفسير الصافي ، الفيض الكاشاني ، ت ١٠٩١ ه ، مؤسسة الأعلى للمطبوعات ، بيروت – لبنان .
١١ - جمهرة اللغة ، ابن دريد ، ت ٣٢١ ه ، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه ابراهيم شمس الدين ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلميه ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٥ م – ١٤٢٦ ه .
١٢ - جواهر البلاغة ، احمد الهاشمي ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت . pdf .
١٣ - شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد ، ت ٦٥٥ ه ، طبعة اولى ، ١٤٢٨ ه -٢٠٠٧م ، دار الكتب العلمية ، بغداد – شارع المتنبي ، الامير للطباعه و النشر و التوزيع ، بيروت – لبنان .
١٤ - شرح نهج البلاغة محمد عبده ، ت ١٨٤٩ ه ، دار المعرفة للطباعه و النشر ، بيروت – لبنان pdf .
١٥ - شرح نهج البلاغة ، كمال الدين بن ميثم البحراني ، ت ٦٧٩ ه ، دار الثقلين ، بيروت – لبنان ، طبعه اولى ، ١٤٢٠ ه – ١٩٩٩ م .
١٦ - صحيح مسلم ، مسلم النيسابوري ، ت ٢٦١ه ، دار الافاق العربية ، مدينة تضر – القاهرة ، ١٤٢٦ه – ٢٠٠٥ م .
١٧ - العين ، الخليل الفراهيدي ، ت ١٧٥ ه ، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي و الدكتور ابراهيم السامرائي ، انتشارات اسوة ، الطبعه الاولى ، ١٤١٤ ه .
١٨ - عون العبود ، العظيم ابادي ، ت ١٣٢٩ ه ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان / الطبعة الثانية ، منشورات محمد علي بيضون ، ١٤٠ ه .
١٩ - فتح الباري يشرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني / ت ٨٥٢ه ، طبعة قصي محي الدين الخطيب ، القاهرة – دار الريان ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٧ه .
٢٠ - الفروق اللغوية ، ابو هلال العسكري ، ت ١٠٠٥ ه ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية / بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٣ م – ١٤٢٤م .

٢١ - في ظلال نهج البلاغة ، محمد جواد فقيه ، تحقيق سامي الفريري ، دار الكتب الاسلامي ، الطبعة الاولى ، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م .
٢٢ - قاموس اللغة (المصباح المنير) الفيومي ، نوبليس .
٢٣ - الكليات ، أبو البقاء الكفوي ، تحقيق الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري ، بيروت – لبنان كمؤسسة الرسالة ، الطبعة الاولى ، ١٤١٢ هـ .
٢٤ - لسان العرب ، ابن منظور و ت ٧١١ هـ ، علق عليه علي شيري ، دار احياء التراث العربي للطباعة و النشر و التوزيع ، الطبعه الاولى ، و ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م ، بيروت – لبنان .
٢٥ - مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي ، ت ١١٥٤هـ ، الطبعة الاولى ، دار احياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان .
٢٦ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباني ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .
٢٧ - مجمع البحرين ، فخر الدين الطريحي ، ت ١٠٨٥ هـ ، تحقيق احمد الحسيني ، المكتبة المرتضوية لأحياء الاثار الجعفرية ، ايران .
٢٨ - نفحات الولاية ، ناصر مكارم الشيرازي ، مطبعة سليمان زاده ، ايران – قم ، الطبعة الاولى .
٢٩ - مجلة العميد ، مجلة فصلية محكمة ، تعني بالدراسات الانسانية ، تصدر عن العتبة العباسية المقدسة ومجازة من وزارة التعليم العالي و البحث العلم ي ، المجلد الرابع ... العدد السادس ، السنة الثانية / ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م .